



أَئَ اتجهت في بلاد المسلمين تجد الحروب حاضرة عليهم أو بينهم. أما التي عليهم فأهم أسبابها ضعف المسلمين مادياً أو معنوياً أو في الجانبين معاً، ما أغري أعداءهم بهم من جميع الأمم؛ لذلك قال تعالى: ((وَأَعْدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ ذُو نِعْمَةٍ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنَفِّعُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ)).

أما التي بينهم فهي قاصمة الظهر، والمصيبة العظمى التي تناقض دينهم من أمر ربهم ووصية نبيهم؛ فقد قال تعالى: ((وَمَنْ يَقْتُلُ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِيبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَ اللَّهُ عَذَابًا عَظِيمًا))، وقال عليه الصلاة والسلام: (لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقباب بعض).

وإسلام لا يعظم من شأن الحرب بل يحصر من استخدام هذا المصطلح لصالح مصطلح الجهاد، لأن مفهوم الحرب في الوعي الجمعي الإنساني مليء بالصور البشعة والمأساة المؤلمة والموروث الإجرامي في القتال والتعذيب. وجاءت الحرب في القرآن الكريم في وصف حالة الاقتتال بين المسلمين الكفار في موضعين فقط.

الموضع الأول قوله تعالى: ((إِنَّ شَرَّ الدُّوَابِ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ؛ الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقْوُنُونَ؛ فَإِمَّا تَتَّقَنَّهُمْ فِي الْحَرَبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلَفُهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ))، حيث الحديث عن أقوام اعتادوا الخيانة والغدر، فأصبحت الحرب معهم حالة ضرورة لمواجهة هذا السلوك الساعي في الأرض فساداً.

والموضع الثاني قوله تعالى: ((فَإِذَا لَقِيْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرِبُوا الرِّقَابَ حَتَّىٰ إِذَا أَخْتَنَمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًا بَعْدُ وَإِمَّا فَدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرَبُ أَوْ زَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَأَنْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَلُو بَعْضُكُمْ بِيَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتُلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ))؛ وأوزار الحرب آثامها وآلاتها، وذلك لا يكون كما قال بعض المفسرين إلا بأن يمسك الكفار عن الاحتراب إما بدخولهم في الإسلام أو مسامتهم له.

وفي موضع آخر استخدم القرآن الكريم وصف الحرب تجاه فئة من المفسدين في الأرض، تأكل أموال الناس بالباطل وتهلك المجتمع بالفقر في حالة من الاستغلال الشهوانى؛ يقول تعالى في شأن أهل الربا: ((فَإِنْ لَمْ تَفْعُلُوا فَأَذْنُوا بِحَرَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ))!

وفيما عدا هذه الموضع يغلب وصف الجهاد على استخدامات القرآن الكريم، أو القتال في سبيل الله كعبارة أوضحت لمقصود القتال ومرجعيته التشريعية.

لكن هناك استخدام مختلف تماماً وصف فيه القرآن الكريم يهود باعتبارهم موقدى نار الحروب، في حين جعل مشيئته -سبحانه- إطفاءها، يقول تعالى: ((وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلُّمَا أَوْكَدُوا نَارًا لِلْحَرَبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ)).

ونظراً لتفنن اليهود عبر التاريخ في صناعة الحروب، فإنهم أخبر الناس بوسائل إشعالها لذلك فلديهم قائمة طويلة بأسمائها، ومنها:

الحرب العالمية:

وهي الحرب التي شاركت فيها دول عظمى ضمن تحالفات إقليمية تمتد عبر القارات. وأول إطلاق لهذا المصطلح جرى خلال القرن العشرين، على الحرب العالمية الأولى (1914 م - 1918 م)، وال الحرب العالمية الثانية (1939 م - 1945 م)، وتستخدم كلمة الحرب العالمية الثالثة في القصص الخيالية عن حرب محتمل حدوثها، بالإضافة إلى مقالات ودراسات غربية تشير إلى افتراضية قيام حرب بهذه في المستقبل!

الحرب الباردة:

وهو مصطلح استخدم لوصف حالة الصراع والتوتر والتنافس التي كانت توجد بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي وحلفائهم، من فترة منتصف الأربعينيات حتى أوائل التسعينيات من القرن المنصرم.

حيث دخل فيها الطرفان في تحالفات عسكرية وسباق في التسلح والتقدم الصناعي والتطور التقني والوصول إلى الفضاء، وقادا دعایات مضادة وأزمات متبادلة وحروب غير مباشرة ضد بعضهما البعض. خلال هذه الفترة، ظهرت الندية بين القوتين العظميين، على الرغم من أنهما كانا حلفاء ضد قوات المحور إلا أنهما اختلفا في كيفية إدارة ما بعد الحرب وإعادة بناء العالم؛ حيث سعت الولايات المتحدة الأمريكية إلى سياسات المحاصرة والاستئصال للشيوعية وحشد الحلفاء خاصة في أوروبا الغربية والشرق الأوسط، فيما دعم الاتحاد السوفياتي الحركات الشيوعية حول العالم خاصة في أوروبا الشرقية وأمريكا اللاتينية ودول جنوب شرق آسيا.

الحرب الاستفزازية:

وهي حرب تهدف إلى استنذاف مقدرات الخصم عبر توسيع دائرة المواجهات وتنوع ميادين الجبهات وإطالة أمد الحرب،

بغية إضعافه أو القضاء عليه. كما كان حال القوى الاستعمارية والمعادية للدولة العثمانية، حيث تعددت الجبهات وتنوعت الميادين.

الحرب الاستباقية:

وهو مصطلح حديث يشير إلى قيام طرف ما بحرب مباشرة ضد طرف آخر، وبدون سابق إعلان أو إنذار، تحت ذريعة أن الطرف الآخر لديه نوايا مسبقة للهجوم وإلحاق الضرر على الطرف المحارب؛ وربما شنت الحرب الاستباقية بفرضية احتمال عدو خفي! وهي سياسة اتبعتها الولايات المتحدة الأمريكية في العقود الأخيرة تجاه العالم الإسلامي.

الحرب التدميرية:

وهي حرب شاملة، تهدف للقضاء على كافة مقدرات الطرف الآخر وبناء العمارة والتاريخية والثقافية، ما يوسع من طبيعة أساليب الحرب لتشمل البشر والعمران والأراضي الزراعية والمياه والمنشآت الحكومية والحيوية والآثار والوثائق والمخطوطات واللغة والدين والتقاليد. وما حرب احتلال العراق عام 2003م إلا مثال لهذه الحرب.

الحرب الذرائية:

وهي الحرب التي تقوم بدعوى تحقيق أهداف ومصالح معلنة في حين أنها على الأرض تحقق أهدافاً ومصالح مختلفة تماماً. وكثير من الحروب العسكرية تقوم تحت شعار الاستقلال أو التحرير أو فض نزاعات مسلحة أو مناصرة حكومة شرعية.. في حين تخفي وراءها أهدافاً أخرى تتجاوز الشعارات. ولقد قامت بريطانيا ووريثتها الولايات المتحدة الأمريكية بحروب من هذا النوع عبر تاريخهم العسكري في العالم، وما الحرب على "الإرهاب" إلا حرب ذرائية بامتياز.

الحرب القدرة:

وهي الحرب التي تنشأ لأهداف قذرة أو تقوم على ممارسات قذرة، بحيث تستحل فيها جميع وجوه الفساد والكذب والإجرام. وهو مصطلح يناسب كل حرب لا تقوم على مقاصد شرعية أو عدالة، ولا تلتزم بالأخلاق والأعراف الإنسانية. وما حروب إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية إلا أنموذج تطبيقي لهذا المصطلح.

الحرب العبثية:

وهي حرب لا تمتلك قيادة واضحة ولا رؤية واضحة ولا هدفاً واضحاً ولا ميداناً واضحاً ولا قواعد اشتباك واضحة؛ مما يجعل ضحاياها من خارج دائرة الصراع أكثر من داخل دائرة الصراع كونها لا تميز مفهوماً واضحاً للأعداء. وغالباً ما تقوم مثل هذه الحروب في البيئات الاجتماعية متعددة الأقطاب مع ازدواجية الولاءات.

الحرب بالوكالة:

وهي حرب يختفي فيها طرفا الصراع، أو أحدهما، حيث يتم استخدام أطراف أخرى بديلة للقتال بشكل مباشر، سواء بتحريضها أو بدعمها أو بالضغط عليها لتوجيهها نحو هذا الخيار. وفي أحيان معينة قد يجهل الطرف المحارب أنه يقوم بهذه الحرب بالوكالة عن الطرف الداعم أو المحرض له. وغالب حروب العرب في تاريخهم الحديث كانت بالوكالة!

الحرب عن بعد:

وهي حرب يجري التحكم فيها من بعد، سواء من خلال التقنيات الحديثة أو عبر وسطاء أو من خلال الاختراقات الإلكترونية

لأجهزة أو موقع أو قواعد بيانات الأطراف المعادية. وميزة هذا النوع من الحروب أنها قليلة التكاليف على الطرف المهاجم، وذات مردود أعلى.

الحرب الخفية:

وهي حرب تمارس بصورة غير مباشرة وغير ظاهرة وعبر الوسائل غير التقليدية المتعارف عليها؛ وقد يظهر فيها الطرف المحارب بصورة صديق. ومن أكثر ما يتجلّى فيه هذا النوع الحرب الاستخبارية التي يتقنها الغرب عموماً، خاصة إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية.

الحرب المفتوحة:

وهي الحرب التي لا تقييد بزمان أو مكان أو أسلوب أو قواعد. فالحرب التي أعلنتها الإدارة الأمريكية عقب أحداث 11 سبتمبر على "الإرهاب" كانت حرباً مفتوحة على الجميع: من لم يكن معنا فهو ضدنا! وعلى مستوى دول العالم، وبدون أي حدود زمانية، أو قيود عرفية أو قانونية.

الحرب الصفرية:

وهي حرب يراد منها القضاء النهائي على الخصم، بحيث تكون حالة العداء مستحکمة وغير قابلة للتعامل معه أو القبول بوجوده. وقد تعرض المسلمين في كثير من دول العالم لهذا النوع من الحروب الذي تم فيه إبادة جماعية وتطهير عرقي لوجودهم البشري والحضاري، كحالة البوسنة والهرسك!

الحرب الناعمة:

وهي حرب تستخدم القوة الناعمة، كالدبلوماسية أو الإغراءات أو الضغوط أو الدعاية لصنع القناعات، للوصول إلى الهدف وتحقيق المكاسب وإسقاط قوى الممانعة والمقاومة لدى الخصم.

كما أتقن اليهود إيقاد أنواع أخرى من الحروب، وذلك بحسب ميدان المواجهة ووسائلها، كالحرب الفكرية، وال الحرب الثقافية، وال الحرب السياسية، وال الحرب الاقتصادية وال الحرب الإعلامية. حتى أصبح لكل حرب من هذه الحروب فنونها وفلسفتها وخططها وأجنادتها.

كما سعى اليهود في إيقاد الحروب الداخلية، فأوجدوا أسبابها وغذوا دوافعها، كالحرب الطائفية التي تنشأ بين أصحاب الديانة الواحدة، وال الحرب الدينية التي تنشأ بين أتباع ديانات مختلفة، وال الحرب القومية أو العرقية التي تنشأ على أساس العرق والقومية، وال حروب الطبقية التي تنشأ على أساس الفوارق الطبقية، ومن ثم كم تفككت من دول وتطاحت من شعوب على أساس "الحروب الأهلية" الداخلية.

وتحت ذرائع وتعلّمات بعض الأقوام غذوا:

حرب الاستقلال:

وهي حرب يقوم بها شعب أو جبهة ما بغية الاستقلال عن الدولة الأم أو الحكومة المركزية طلباً للاستقلال، وإقامة كيان سياسي مستقل أو حكم ذاتي مستقل.

و حرب التحرير:

وهي حرب يقوم بها شعب أو جبهة ما ضد قوى محتلة لإخراجها واستعادة الأرض والسيادة السياسية القامة عليها. لكن لا من أجل الاستقلال التحرير ولكن من أجل استعادة مصالحهم أو تعزيز مكاسبهم.

هذه حروب مختلفة نحن غائبون عن حقائقها وآثارها وكيفية التعامل معها، في حين أننا في موقع المحترق بها! وذلك لأننا أصبحنا في حالة من التخلف الشعوري والحضور التفاعلي والترابع القيادي.

[منتدى المفكرين المسلمين](#)

المصادر: